الإهـــداء

إلى روح أبى

الذى علمنى أن الرجولة ليست صفة يتباهى بها الذكور بقدر ما هى مسئولية والتزام.

مقدمـــة

ما الفلسفة ؟

إذا كان من اليسير طرح مثل هذا السؤال ، فإنه من العسير الإجابة عنه، لأن معنى الفلسفة قد اختلف باختلاف العصور ، بل إننا داخل العصر الواحد نجد معانى عديدة لهذه الكلمة. وتتعدد معانى الفلسفة وفقاً لعدد المذاهب والاتجاهات الفلسفية ، ومن ثمّ لا يوجد تعريف واحد بعينه يرضى عنه كل الفلاسفة. وبعبارة موجزة يمكننا القول : إن إحدى الصعوبات الهامة فى تعريف لفظ "**فلسفة**" إنما تكمن فى أنه لا توجد فلسفة "**واحدة**" ، وإنما هناك "**فلسفات**" ، ولا توجد مدرسة فلسفية واحدة ، بل هناك مدارس واتجاهات فلسفية متعددة.

قد تكون هذه البداية محبطة للقارئ العادى أو الدارس المبتدئ ، إذ إنه بمجرد أن وقعت عيناه على عنوان هذا الكتاب، قد منّى نفسه بأنه سوف يهتدى إلى إجابة شافية عن السؤال القائل: "ما الفلسفة ؟". غير أننا نريد التأكيد على أن الأمر ليس بهذا السوء ، فنحن قد قلنا إنه من "العسير" الإجابة عن السؤال القائل "ما الفلسفة ؟" ، ولم نقل إنه من "المستحيل" الإجابة عنه. هناك صعوبة إذن فى الإجابة ، وتتمثل هذه الصعوبة فى أن المعرفة الكاملة بالفلسفة إنما تقتضى الإحاطة الشاملة بتاريخها الممتد منذ طاليس وحتى اليوم ، فضلاً عن الإلمام بالمشكلات الفلسفية التى أثيرت عبر هذا التاريخ الطويل. بالإضافة إلى كل هذا لابد من التمييز الدقيق بين الفلسفة وبين غيرها من المباحث الإنسانية الأخرى كالعلم والدين مثلاً. ومن الواضح أن تحقيق ذلك يحتاج إلى قدر من التريّث والصبر ، أما الإجابة السريعة المقتضبة ، فإن ضررها أكبر من نفعها.

إن الفلسفة أشبه بمدينة عريقة مترامية الأطراف لا يكفى لمعرفتها إلقاء نظرة عابرة من الخارج ، وإنما لابد من دخولها والسير فى دروبها المختلفة، والوقوف طويلاً أمام معالمها البارزة ، والتحاور مع أهلها حتى نستطيع تكوين

معرفة دقيقة عنها. والواقع أننا ندرك منذ البداية أن ما نقوم به إنما هو محاولة متواضعة من جانبنا للإجابة عن السؤال الكبير "ما الفلسفة ؟". ففى هذه الدراسة الأولية للفلسفة لن نحاول أن نتعرض لبحث عميق لمشكلاتها أو لتاريخ مذاهبها ، بل سنقتصر على وضع بعض المقدمات التى لا غنى عنها لكى تكون مدخلاً أو توطئة للمبتدئين فى دراسة الفلسفة ، وأيضاً حتى يكون فى استطاعتنا أن نطرق أبوابها فيما بعد فى يسر وسهولة. وبعد أن نبين معنى الفلسفة ونشير إلى بعض تعريفاتها عند القدماء والمحدثين سنحاول أن نستعرض الجوانب المختلفة لعلاقة الفلسفة بالعلم ، ثم علاقة الفلسفة بالدين ، كما سنفرد فصلاً لأحد المباحث الفلسفية الهامة ، وهو مبحث المعرفة.

أما القسم الثانى من هذا الكتاب ، فيشتمل على مجموعة مقالات نُشِرَت فى بعض الصحف المصرية والعربية ، ويُعد هذا القسم تطبيقاً عملياً للنظرة الفلسفية إلى بعض المشكلات الثقافية والاجتماعية السائدة فى مجتمعنا العربى، ولهذا السبب جعلنا عنوانه : "الفلسفة.. والمجتمع" ، فهو من ناحية ينهج نهجاً فلسفياً فى تناول الموضوعات ، وتنصب هذه الموضوعات ، من الناحية الأخرى ، على مشكلات ذات طبيعة اجتماعية فى معظمها.

وبعد.. إن كل ما نتوخاه من هذا العمل هو الاقتراب بالقدر المستطاع من الإجابة عن السؤال المطروح "ما الفلسفة؟"، على أمل أن نضع القارئ العادى والدارس المبتدئ على بداية الطريق الصحيح المؤدى إلى الفهم الدقيق لمعنى الفلسفة.. والله الموفق.

دكتور

حسين على